

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / عقيدة وتوحيد



الغاية من خلق الخلق

مرشد الحياي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 21/1/2015 ميلادي - 30/3/1436 هجري

الزيارات: 70777

الغاية من خلق الخلق

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ اَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة: 36 - 40].

أيها المسلمون:

إن الله لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم هملاً، ولم يدعم سدى، بل خلّقا لغاية جليلة، ولهذه سابع، ألا وهو عبادة الله وطاعته، والقيام بأمره، وإعلاء كلمته، وخلّق من أجل تحقيق تلك الغاية الجليلة، والحكمة البليغة - جنة خُفّت بالمكاره، وناراً حفت بالشهوات.

وقد أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين؛ مبشرين بوعده الله للمؤمنين الصادقين بالثواب والجزاء العاجل والنصر، ومنذرين من وعيده ومن شديد عقابه لمن خالف أمره وارتكب نواهيه، فقال سبحانه: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 165].

أيها المسلمون:

لقد أوضح سبحانه أوصاف أهل الجنة وأعمالهم، وأوصاف أهل النار وأحوالهم ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: 42] ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49].

من أوصاف أهل الجنة التي جاء ورودها في سور عديدة، وآيات كثيرة، مثل ما جاء في سورة المؤمنون: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 1 - 11]، ومن أعمالهم الحميدة وصفاتهم الجليلة ما جاء في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 63 - 67]، ثم قال في نهاية الآيات الكريمة: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَغِبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: 75 - 77]؛ ليعلم المسلمون تلك الأعمال فيعملوا بها ليسعدوا في دينهم ودنياهم.

معاشر المسلمين:

ولو أَنَا إِذَا مِتْنَا تُرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ

ولكننا إذا مِتْنَا بُعِثْنَا ونُسأل بعد ذا عن كل شيء

أيها المسلمون:

2/3

أيها المسلمون:

اجتهدوا في بلوغ الأعمال التي توصلكم إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وفي الحديث: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))، ومعنى من خاف "يعني: من خاف أن يُدرَك في الطريق، وأن يلحقه قطاع الطريق، أدلج في السير؛ يعني: سار بالدجى بغاية النشاط والقوة؛ حتى يقطع السير بسرعة، وحتى يسلم من خطر قطاع الطريق، والدلجة السير في أول الليل" [1].

معاشر الأحبة:

إن من الأعمال التي يَتَلَعُّ بها المسلم الجنان والسعادة الحقّة، والحياة السعيدة المطمئنة: طاعة الله ورسوله، وتصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتفاء عما نهى عنه وزجر، والتمسك بسنته، والاهتداء بهديه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى))، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)).

ومن الأعمال: الأخلاق الفاضلة، والآداب السامية؛ مثل: التواضع والرحمة وصلّة الرحم، والعفو عن المسيء، والكرم والجود، وكثرة نوافل العبادة من صوم وصلاة، وحج وعمره، وصدقة وبر وإحسان؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح منكم اليوم صائماً؟))، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن تبع منكم اليوم جنازة؟))، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟))، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟))، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)).

أبشروا أيها المسلمون ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم، لمن حافظ على الصلوات المكتوبات، وأدى الزكوات، وصلى لربه في الخلوات، عن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع النبي في قبّة، فقال: ((أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟))، قلنا: نعم، قال: ((أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟))، قلنا: نعم، قال: ((أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟))، قلنا: نعم، قال: ((والذي نفس محمد بيده، إنني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة؛ وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)).

وهذه البشارة لأمة الإجابة التي استجابت للنداء، وسارعت للتلبية، وجدّت في الطلب، وعملت لما بعد الغد.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولجميع السامعين من المسلمين والمؤمنين، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

[1] من كلام الشيخ ابن باز رحمه الله، من برنامج نور على الدرب.